محاضرات في مقياس الإبستمولوجيا :

سنة الثانية علم النفس العيادي

من إعداد الأستاذة : عطا الله أمينة

المحاضرة السابعة :

العائق الابستمولوجي عند باشلار :

العائق هو ما يعوق الفكر أو الإرادة من شواغل داخليه او خارجية أما إذا ربطناه مفهوم العائق الابستيمولوجي بالبحوث فنقصد به العائق الذي يعترض سبيل العلم فيعرقل تقدمه ويعطل سيره

يرتبط هذا الاصطلاح **ببشلار** وبهذا تنقلنا اليه إبستمولوجياه في تكون نظرياتها حول تاريخ العلوم إلى مستوى مفهوم العائق، والحقيقة انه إذا كان بصلة قد أكد غير مره وفي غير موضع في كتاباته على أن الاهتمام بالخطأ في دراسة الممارسة العلمية بل في تاريخ تكوونها وتطورها أفيد بكثير بالنسبة للابستيمولوجيا من الاقتصار على إبراز النتائج والحقائق، فبإنتاجه لمفهوم العائق خطا خطوه حاسمه لا على صعيدي بلوره نظريه الدقيقة لأطروحة الخطأ وحسب ولكن أيضا على صعيد إدراكي السيرور ة التاريخية الملموسة لتكوين المعرفة العلمية وسياقات تحولها الفعلي ضمن إيقاع انفصالي.

إن وجود العائق الابستيمولوجي يجعل مهمة الابستيمولوجي مختلفة، فعلى الابستيمولوجي ان يعيد رسم تطور الفكر العلمي ويجب من اجل ذلك أن يختار من الوثائق التي يحلها

المؤرخ وان يحكم عليها فالمؤرخ يأخذ بالوقائع ، بينما الاستمولوجي يأخذ من الواقع بما فيه من أفكار يدخلها في نسق من انساق التفكير إلا أن الانتباه إلى العوائق الابستمولوجية في المقابل سيسمح بتاريخ العلوم أن يتطور أكثر

يجيبنا **بشلار** عند الحديث عن العائق الابستمولوجي انه موجود في صميم عمليه المعرفة ذاتها فهو ليس نتيجة لا للشروط الخارجية لعمليه المعرفة ولا للحواس والفكر كوسيلتان ذاتيتين للمعرفة عند الإنسان، إن العوائق الابستمولوجية تبرز في الشروط النفسية للمعرفة تبعا لضرورة وظيفية أي بمجرد ما تقوم علاقة بين الذات والموضوع ،المعرفة العلمية إذا هي التي تنتج بذاتها عوائقها الابستيولوجية.

ينطلق **بشلار** من اعتقاد مفاده أن المعرفة العلمية عمليه تتم ضمن شروط نفسيه تترك بصماتها عليها بشكل أو بآخر هذه التأثيرات تتجلى في صيغه عوائق تعترض طريق المعرفة العلمية، فالمعرفة العلمية ليست شيئا معطى ولا هي مجرد امتدادا لمعطيات الحس المباشر بل هي معرفه علميه تكون في لحظات محدده وتتشكل في سياقات معينه.

ينتقد **باشلار** فكرة أن العلم استمرار للإحساس والرأي حيث يرى أن العلم في حاجته إلى الاكتمال كما في مبدأه يعارض الرأي بصفه مطلقه ،وانه إن حدث أن منح العلم مشروعية للرأي في نقطه محدده فان ذلك لا يرجع لأسباب أخرى غير تلك التي يتأسس عليها الرأي بحيث أن الرأي دائما خاطئ لأنه يفكر بصوره سيئة بل لا يفكر أبدا، فهو يترجم الحاجات إلى معارف، لهذا يعتبر **باشلار** بان الرأي هو أول عقبة ينبغي تحطيمها يتطور المعرفة.

عند حديثنا عن العائق لا ينبغي أن أتكلم عن مفهوم واحد العائق أو العوائق الابستمولوجية فهو لا يكون شاملا أو نهائيا ذلك لان لكل فتره زمنيه من تاريخ المعرفة العلمية عوائقها وعقباتها فمرحلة الهندسة الاقليدية كان لها عوائقها ومرحله الهندسات اللائقليديه أيضا كل مرحلة كانت لها عوائقها الخاصة بها وهذا الشأن ذاته نجده عند كل تطور من مرحله إلى مرحله علميه أخرى ولهذا لجأ بشلار في كتابه "تكوين الفكر العلمي" إلى تقديم زمره من العوائق الاستمولوجية التي تلخص ما يمكن أن يعترض المعرفة العلمية من عوائق وهذا ما سماه بشار بالتجربة الأولى.

العائق الأول :

حسب بشلار فإن العائق الأول في تكوين فكر علمي هو التجربة الأولى أي التجربة القائمة قبل وما فوق النقد الذي هو بالضرورة عنصر محدد في الفكر العلمي، ونقصد بالتجربة الأولى المعرفة المباشرة بالشيء ،القائمة على ما تضمنه الحواس في اتصالها بالمعطيات الطبيعية خارجه وقبل أي تفكير النقدي، ،هو هنا لا يشكك في الدور الايجابي الذي تلعبه التجربة الأولى في عملية المعرفة ولكنه يرى أن الوقوف عندها أي الوقوف عند الاتصال الأول بالموضوع يشكل عائقا معرفيا للموضوعية، تعتمد المعرفة العلمية على التجارب الأولى لا لكي نصل منها مباشرة إلى المعرفة العلمية بل لكي تعمد على عقلنتها أي وضعها في صوره عقليه يحددها الوضع المشكل، فالموقف الابستيمولوجي السليم في نظري **باشلار** هو الذي يتجاوز تاريخية التجربة الأولى لأنه يريد تجاوز تاريخية الخطأ,

العائق الثاني :

وقد سماه بالتعميم ولكننا قد نتساءل ما الذي يجعل التعميم عائقا بالسيمولوجيا عوض أن يكون له دور حيوي في بلوغ تلك المعرفة؟

يقول **باشلار** لا شيء يبطئ تقدم المعرفة العلمية كما عرفها المذهب الخاطئ للعام الذي ساده من أرسطو إلى بيكو و الذي لا زال يشكل بالنسبة لكثير من الباحثين منبعا أساسيا للمعرفة.

لا يشكك **بشلار** في دور التعميم بل يعتبر أن له دورا ديناميا في تقدم التفكير العلمي وفهم الظواهر وهذا لان التعميم ينقل الفكرة من تبدد الوقائع إلى وحده القوانين التي نفسرها غير أن التعميم لا يكون كذلك في كل الأحوال، فقد يكون تعميما مشرعا وسهلا وهذه هي الحالة التي يكون فيها التعميم عائقا يلعب في التفكير العلمي دورا معاكسا لدوره الدينامي المألوف، أي انه يكون في شكل استجابة لضرورة علميه محض ورغبه في تفسير الظواهر بهذا الكشف عن القوانين المتحكمة فيها والمحركة لها، وهذا النوع من التعميم في نظره لا يشكل عائقا في سبيل حصولنا على المعرفة العلمية بل هو نوع ضروري لبلوغ هذه المعرفة .

وهنالك حاله ثانيه يكون التعميم فيها ليس استجابة لضرورة علميه بل استجابة لمتعه عقليه نظريه هدفها بلوغ الانسجام النظري على حساب البحث الموضوعي عن حقيقة الظواهر، ثم أين التعميم عندما يكون استجابة لمتعه عقليه يكون متسرعا وسهلا وعلى التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية أن يمتحن كل إغراءات السهولة، يقول بشلار " هناك في الواقع متعه

عقليه خطيرة تنتج عن التعميم المتسرع والسهل، والتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية لابد له ان يمتحن كل إغراءات السهولة بهذا الشرط فقط سنصل إلى نظريه التجريد العلمي السليم.

و من بين العوائق الابستمولوجيه الأساسية التي تعترض تكوين الفكر العلمي نجد حائطان آخرين مشكلان ربما أكثر الحواجز تجدرا وأصعبها تجاوزا وهما: العائق الجوهري والعائق الإحيائي.

يقول **باشلار** أن العائق الجوهري هو ككل العوائق الابستمولوجية متعدد الأشكال فهو مكون من تجميع الأحداث الأكثر تبددا، والأكثر تعارضا وبميل طبيعي جدا يوفق الاهتمام بتراتب الأدوار التجريبية، فالعائق الجوهري يتمثل في الاعتقاد بان هناك في الظاهرة جانبا خفيا او مختفيا يجب على الباحث أن يصرف كل جهده من اجل إبرازه واستخراجه، وتجاوز هذا العائق ليس بالأمر السهل لأنه لا يتوقف على مجرد القيام بتصحيح أولي، وهذا لان للخيال دورا كبيرا في نشاه هذا الحائق وتعرضه مع التجربة بافتراض وجود جوهر أو باطن لظاهره المدروس.

ثم يحدثنا **باشلار** عن العائق الإحيائي وتتلخص دلاله هذا العائق في كونه يلخص امتداد المعارف البيولوجية والفيزيولوجية كان تمتد على تفسير الظواهر الفيزيائية وهي تحديد الإشكالية المستمدة بسبب هذا العائق، يعبر **بشلار** عن العائق الإحيائي ويقول :هكذا هو بغض النظر عن العراقيل الشبه العادية التي تلاقيها الموضوعية في العلوم المادية المحظى يضاف حد سم معين إلى الحياة بوصفه مقطع واضحا وعام، هذا الحدث سيكون فيما بعد

الدعامة التي يستند إليها علم عام، علم واثق من وحد ة موضعه هذا العلم يقوم باستدعاء البيولوجية الناشئة لنجدة موضوعين كان قد حصلا من قبل على نتائج ايجابي ة وهما الكيمياء والفيزياء .

من هنا و بالحديث عن العائق الابستيمولوجي وتوضيحه تجاوز بشلار العائق إلى قطيعه الابستمولوجيةِ التي أراد بها الاهتداء إلى الصواب الذي يحجبنا عن هذه العوائق .